

(١٢)

## المنحرفون عن طريقة السلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين اللهم نسألك أن توفق شيخنا وان تعينه وأن تغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين.  
قال شيخ الإسلام غفر الله له: ((وَأَمَّا الْمُنْحَرِفُونَ عَنْ طَرِيقِهِمْ فَهُمْ ثَلَاثُ طَوَائِفَ: أَهْلُ التَّخْيِيلِ، وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَأَهْلُ التَّجْهِيلِ.

فَأَهْلُ التَّخْيِيلِ هُمُ الْمُتَفَلِّسِفَةُ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَمُتَصَوِّفٍ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا ذَكَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَمْرِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ لِلْحَقَائِقِ لِيَتَنَفَّعَ بِهِ الْجُمْهُورُ، لَا أَنَّهُ بَيْنَ بِهِ الْحَقِّ، وَلَا هَدَى بِهِ الْخَلْقَ، وَلَا أَوْضَحَ الْحَقَائِقَ.

ثُمَّ هُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَعْلَمْ الْحَقَائِقَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ مَنْ عَلِمَهَا، وَكَذَلِكَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُسَمُّونَهُمْ أَوْلِيَاءَ مَنْ عَلِمَهَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ أَوْ الْأَوْلِيَاءِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَهَذِهِ مَقَالَةُ غَلَاةِ الْمُلْحِدِينَ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ: بَاطِنِيَّةِ الشَّيْعَةِ، وَبَاطِنِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلِ الرَّسُولُ عَلِمَهَا لَكِنْ لَمْ يُبَيِّنْهَا، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِمَا يُنَاقِضُهَا وَأَرَادَ مِنَ الْخَلْقِ فَهَمَ مَا يُنَاقِضُهَا، لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْخَلْقِ فِي هَذِهِ الْأَعْتِقَادَاتِ الَّتِي لَا تُطَابِقُ الْحَقَّ.

وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ: يَجِبُ عَلَى الرَّسُولِ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اعْتِقَادِ التَّجْسِيمِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِلَى اعْتِقَادِ مَعَادِ الْأَبْدَانِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ دَعْوَةَ الْخَلْقِ إِلَّا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْكُذْبَ لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ، فَهَذَا قَوْلُ هَؤُلَاءِ فِي نُصُوصِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.  
وَأَمَّا الْأَعْمَالُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْرَأُهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرِبُهَا هَذَا الْمَجْرَى، وَيَقُولُ: إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، وَيُؤْمَرُ بِهَا أَلْعَامَةُ دُونَ الْأَخَاصَةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْمَلَاحِدَةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ.))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ .. لما بين الشيخ رحمه الله طريقة أهل الإيمان في باب الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وأنها التحقيق والإقرار والإمرار وإجراء النصوص على ظاهرها، وأنها حق على حقيقتها، وأن جميع مسوغات قبول الخبر قد توفرت في خبر الله وخبر نبيه ﷺ من العلم المنافي للجهل ومن الصدق المنافي للكذب ومن البيان المنافي للعي والفهاهة ومن النصح المنافي للغش والتدليس، لما كان ذلك متحققاً في خبر الله وخبر رسوله ﷺ كان لزاماً قبول ما أخبر به الله ﷻ ورسوله ﷺ. فنصوص المعاد ونصوص الإيمان بالله نصوص غيبية يجب إجراؤها على ظاهرها واعتقاد ما دلّت عليه من المعاني.

بإزاء هذه الطريقة الرشيدة هناك ثلاث طرق زائغة وهي طريقة ..

(١) أهل التخييل

(٢) وأهل التأويل

(٣) وأهل التجهيل

وابتداً بذكر أولها وهي أشدها بُعْدًا عن الحق وعن الإيمان، وهي طريقة أهل التخييل . وقد اشتق الشيخ هذا الاصطلاح من حقيقة مذهبهم، وذلك أن هؤلاء القوم يقولون إن ما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ في نصوص المعاد ونصوص الإيمان بالله إنما هي رموز وخيالات لا تتراد بها حقائقها وإنما هي مجرد أخبار وألغاز قصد من ورائها ضبط مسيرة الناس وسياستهم حتى لا يجيدوا عن الجادة وحتى تنضبط أمور معاشهم، وإلا فلا إله متصف بصفات ولا معاد ولا جنة ولا نار ولا بعث جثماني ولا شيء من ذلك البتة. فمنهم من يقول إن الرسل يعلمون ذلك ويدركونه لكنهم كتموه وقالوا للناس "إن لكم رباً قادراً قوياً قهاراً جباراً"، وزرعوا - أي الرسل - في قلوبهم مخافته. "وإن من ورائكم يوم آخر يجازى المحسن على إحسانه بأنواع النعيم واللذائذ، ويجازى المسيء على إساءته على أنواع العذاب وصنوف الرهق"، ولا شيء من ذلك البتة، إنما أرادوا بذلك سياسة العامة. والأنبياء يدركون ذلك ويعلمونه لكنهم كتموه.

ومنهم من يقول: لا، حتى الأنبياء أنفسهم لا يعلمون حقيقة ذلك، ويظنون أن ما يخبرون به أنه مطابق للحقيقة، وإنما يعلم ذلك المحققون من الفلاسفة الإلهية من باطنية الراضية أو باطنية الصوفية. لأن الفلسفة موجودة في المذاهب الباطنية التي تنتمي لشجرة الرفض الخبيثة وإلى الصوفية، ومذاهبها الغنوصية وفلسفتها الإشراقية. الفلسفة ليست ديناً، الفلسفة هي نتاج فكر بشري بعيد عن النبوات. وأصل هذه الكلمة فلسفة مكون من جزأين فيلوسوفي **Philosophy**، فيلي **Philo** معناها محبة، وصوفي **sophy** يعني حكمة، فمعنى فيلوسوفي يعني محبة الحكمة، والفيلسوف يعني محب الحكمة. والحكمة التي يتحدثون عنها هي حكمة بشرية، بمعنى أنها نتاج عقول بشرية أمعنت التفكير والنظر وتوصلت إلى نتائج معينة، هذه يسمونها الفلسفة. والفلاسفة موجودون في عديد من الأمم. وأشهر الفلاسفة فلاسفة اليونان الذين منهم الأساطين، فيثاغورث وسقراط وأرسطو وغيرهم. وموجودون في الهند وفي الصين وفي جميع الأمم. هكذا البشر إذا حادوا عن منهج الأنبياء أعملوا فكرهم. ولذلك جاءت مدارسهم متناقضة متعارضة ليس لهم جامع وليس لهم طريقة واحدة كفلاسفة اليونان فيهم المدرسة الرواقية ومدرسة المشائين والمدرسة السوفسطائية وغيرها من المدارس الموثقة. ولا تزال الفلسفة ليومنا هذا مادة تدرس في الجامعات العالمية، لكنها بعيدة عن نور الله وعن ما جاء به الأنبياء. فهؤلاء يزعمون أنهم يعرفون الحقائق أكثر مما يعرفها الأنبياء. كما أن الصوفية أيضاً دخلت فيهم الفلسفة. والصوفية يركبها الله لفظ يتناول عدة مراتب، فهناك الصوفية التي بمعنى التعب والاشتغال بالطاعات والنسك، كما كان أوائل الصوفية، وهؤلاء كانوا غير بعيدين عن الحق، لكنهم غلبوا العبادة على العلم، فكان منهم نساكاً وعباداً ولم يخرجوا عن الجادة إلا أنهم اشتغلوا بالأحوال وإصلاح القلوب وغلبوا هذا الجانب على جانب الرواية والدراية والعلم كما كان عليه السلف، لكنهم لم يشتطوا بعيداً. ثم جاء من بعدهم جيل من الصوفية دخلت فيهم البدعة بسبب قلة علمهم، فلما كانوا قد أسسوا تدينهم لله تعالى على غير أساس متين من العلم تسلت إليهم البدع القولية والبدع العملية. فنشأت عندهم الطريقة، ونشأ لكل طريق أوراد، واتخذوا لأنفسهم حرقاً وعمائم ومسابع وبيعة وأحوال معينة. فانتقلت إلى البدع العملية، فصارت الصوفية بدعة عملية وقولية. ولكنهم من حيث الجملة يقولون من "أهل القبلة"، إذ أنهم يقرون بالله ﷻ رباً وبمحمد ﷺ نبياً ويأتون بشرائع الإسلام الظاهرة على ما عندهم من لوثات البدع المختلفة.

ثم إن الصوفية انحطت إلى دركات سفلى حينما دخلت فيها الفلسفة، فنشأت الصوفية القائلة بوحدة الوجود والحلول والاتحاد على يد ابن سبعين وابن الفارض وابن عربي وغيرهم، فأدخلوا الفلسفة في اعتقاداتهم فأتوا بالطوام وصاروا من أكفر الكفرة - لا سيما القائلين بوحدة الوجود الذين لا يفرقون بين خالق ومخلوق. فهؤلاء هم غلاة الصوفية؛ يزعمون أن للأولياء علومًا لا يطلع عليها الأنبياء، حتى يجعلون مرتبة الولاية أعلى من مرتبة النبوة والرسالة. ويقول القائل:

فويق الرسول ودون الولي.

مقام النبوة في برزخ

فقلبو السلم وجعلوا أعلى المراتب هي الولاية ثم النبوة ثم الرسالة. فهذا هو مذهب هؤلاء والعياذ بالله. يزعمون أن الأخبار الواردة في نصوص الصفات لا حقيقة لها وأن الأنبياء قصدوا أن يُجسَّموا الربَّ في زعمهم بأن يذكروا أن له صفة السمع والبصر والحياة والكلام واليدين والعينين وغير ذلك، وهم يدركون. أو لا يدركون. أن ذلك لا حقيقة له، وأنهم أخبروا الناس باليوم الآخر، وأن فيه مطاعم ومشارب ومسكن ومناكح ولا حقيقة لذلك أبدًا ولا بعث جثماني ولا شيء من هذا وقد يعلمون وقد لا يعلمون - على قولين لهم . هذا والعياذ بالله مذهب أهل التخيل والعياذ بالله في العقائد والإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما في الأعمال فإنهم أيضًا قد رمَّزوا لها فجعلوا كل شَعْبَةٍ أو شريعة من الشرائع ذات دلالة باطنية. فيزعمون أن الصلاة مثلاً هي الاتصال بالأولياء، وأن الزكاة دفع الخُمس إليهم، وأن الحج السفر إلى المشاهد والمزارات، وهكذا، حتى لا يدعوا شيئًا من ألفاظ الإسلام إلا وحملوه على معنى باطني رمزي. ومما يوضح هذا بشكل جلي رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، وهي أربع وخمسين رسالة كُتِبَتْ في القرن الرابع الهجري على يد جماعة سِرِّيَّة شيعية كتبوا هذه الرسائل و عبروا فيها هذه التعبيرات وخلعوا على كل لفظ شرعي خِلقَةً باطنية وبُعْدًا رمزيًا يفسرونه بتفسيراتهم المزعومة. وهؤلاء هم أكفر الناس بالله رب العالمين، وأشدُّهم بُعْدًا عن الدين. ولا يرتاب أحد في كفر هؤلاء - أعني أهل التخيل. وهذا موقفهم في نصوص المعاد ونصوص الإيمان بالله تعالى. وردت كلمة "الإسماعيلية"، وهؤلاء الإسماعيلية هم أحببت فرق الرفضة، وذلك أن الرفضة يُسَلِّسُونَ الإمامة بعد علي عليه السلام - حسب صنعتهم وإلا فعلي والأئمة براء من دعوتهم - يقولون أن الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين، وهؤلاء صحابة كرام. ثم بعد الحسين علي بن الحسين الملقب بزين العابدين، ثم بعده محمد بن علي الملقب بالباقر، ثم بعده جعفر بن محمد الملقب بالصادق، وهؤلاء الثلاثة من خيار التابعين وهم من رجالات أهل السنة، وأهل السنة أولى بهم، وإنما ينتحلهم الرفضة زورًا وبهتانًا وينسبون إليهم إفكًا وعدوانًا. ثم إنه اتفق بعد جعفر الصادق أن توفي ابنه الأكبر في حياة أبيه - وهو موسى، فحينئذ افترقوا فرقتين:

١- الشيعة الاثنى عشرية قالوا: وإن مات موسى في حياة أبيه لا يمنع أن تسري الإمامة فيه ثم إلى ولده من بعده. فجعلوا الإمام السابع موسى ثم ابنه من بعده إلى أن بلغوا الإمام الحادي عشر الذي هو الحسن العسكري. واتفق أن الحسن العسكري كان عقيمًا رحمه الله، فافتعلوا فكرة المهدي المنتظر، وقالوا: كلا بل ولد له غلام سنة ١٥٠ هـ وبلغ خمس سنوات في حجر أبيه، ثم خاف عليه أبوه فأخفاه في سرداب في سامراء في العراق حتى لا يقع في أيدي بني العباس فيقتلونه، وأنه سيخرج في آخر الزمان ويملا الأرض عدلاً ونورًا بعد أن ملئت ظلماً وجورًا. وهم يعيشون على هذه الأوهام والأحلام ليومنا هذا، ولو ذكروه قالوا "عجل الله فرجه"، ينتظرون هذا الغائب في السرداب الذي دخل منذ عام ١٥٥ هـ وهم يرتقبون خروجه ليومنا هذا.

٢- وأما الفريق الثاني فهم من قالوا بأنه بما أن موسى مات في حياة أبيه فقد بطلت إمامته وانتقلت الإمامة لأخيه الذي من بعده وهو إسماعيل، فسمي هؤلاء الإسماعيلية، ثم من بعد إسماعيل ابنه محمد ابن إسماعيل، حتى وجد من بين بني عبيد القداح العبيديين الخبثاء من ادعى أنه من نسل فاطمة وأنهم من ذرية محمد بن إسماعيل، وعدّوا منهم اثني عشر مستخلفاً - لا خليفة، كما يقول السيوطي رحمه الله في تاريخ الخلفاء، وقال: وكانوا اثني عشر مستخلفاً لا خليفة، لأنه لا خلافة لهم - قاتلهم الله، وقال عنهم الذهبي "الدولة العبيدية الخبيثة" فساقوا الإمامة في هؤلاء إلى أن قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي قضى على العاضد آخر ملوكهم. وكان هؤلاء الملوك العبيديين من أكثر الناس حتى أنهم يدعون الألوهية في ذوات هؤلاء الخلفاء. وأصرحهم في ذلك من كان يلقب نفسه بالحاكم بأمر الله العبيدي وهو الحاكم بأمر الشيطان أو الحاكم بأمر نفسه، وهو الذي دعى الدرود إلى عبادته. فعبده الدرود ليومنا هذا. والدرود يعبدون الحاكم العبيدي، وكان يستقبل الشعراء الذين يخاطبونه بوصف الألوهية كابن هانئ الأندلسي ومن على شاكلته يقول له:

ما شئت لا ما شئت الأقدار  
فاحكم فأنت الواحد القهار

ونحو ذلك من الكلام الذي تقشعر له الأبدان. فهؤلاء هم الإسماعيلية نسبة لمحمد بن إسماعيل ثم إن هؤلاء بعد أن قضى عليهم صلاح الدين تفرقوا شذر مذر في الأرض فكان منهم طائفة في بلاد الأفغان يقال لهم الأغاخانية، وكان منهم طائفة في بلاد الهند يقال لهم البهرة، ليومنا هذا وطائفة في بلاد اليمن ونجران لا يزالون على صلة بالهند من البهرة في منطقة حراز في اليمن ومنطقة نجران، وكان منهم طائفة في السُّلَمِيَّة في سوريا، ومتناثرون في أرجاء الأرض، هؤلاء الإسماعيلية وهم أشد كفرة من الإثني عشرية. ثم قال ((وَأَمَّا أَهْلُ التَّائِيلِ فَيَقُولُونَ: إِنَّ النُّصُوصَ الْوَادِرَةَ فِي الصِّفَاتِ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَعْتَقِدَ النَّاسُ الْبَاطِلَ، وَلَكِنْ قَصَدَ بِهَا مَعَانِي وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ تِلْكَ الْمَعَانِي)) عندي ((وَلَمْ يَبَيِّنْ لَهُمْ تِلْكَ الْمَعَانِي)) وهذا أولى ((..)) وَلَا دَلِيلُهُمْ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرُوا فَيَعْرِفُوا الْحَقَّ بِعُقُولِهِمْ، ثُمَّ يَجْتَهِدُوا فِي صَرْفِ تِلْكَ النُّصُوصِ عَنْ مَدْلُولِهَا، وَمَقْصُودِهَا، اِمْتِحَانَهُمْ وَتَكْلِيفُهُمْ اِنْتِغَابَ أَذْهَانِهِمْ وَعُقُولِهِمْ فِي أَنْ يَصْرِفُوا كَلَامَهُ عَنْ مَدْلُولِهِ وَمُقْتَضَاهُ، وَيَعْرِفُوا الْحَقَّ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْمُتَكَلِّمَةِ الْجَهْمِيَّةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَالَّذِينَ قَصَدْنَا الرَّدَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْفِتْيَا هُمْ هَؤُلَاءِ، إِذْ كَانَ نَفُورُ النَّاسِ عَنِ الْأَوَّلِينَ مَشْهُورًا، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ تَظَاهَرُوا بِنَصْرِ السُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَا لِلْإِسْلَامِ نَصْرًا، وَلَا لِلْفَلَاسِفَةِ كَسْرًا))

نأتي للفئة الثانية وهم أهل التأويل، هؤلاء ما موقفهم من نصوص الإيمان بالله؟ فإنهم زعموا أن النبي ﷺ لم يرد حقيقتها ولم يرد أن يعتقد الناس الباطل وأن ظاهر دلالتها يدل على الباطل، وأن النبي ﷺ أجهم عليهم الأمر ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دهم عليها، لم؟ قالوا أراد النبي ﷺ أن ينظروا وأن يجتهدوا في معرفة الحق وفي صرف النصوص عن مدلولها امتحاناً لهم ولعقولهم أن يصفوا الله تعالى بما يليق به، فهذا من نوع الابتلاء لهم لا أكثر ولا أقل. هذه المقالة هي مقالة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الصفاتية. ولهذا قال الشيخ هؤلاء هم الذين قصدنا الرد عليهم في هذه الرسالة لا الفريق الأول، لماذا؟ لأن الفريق الأول نفور الناس منهم ظاهر، الناس ينفرون منهم ويغضونهم ولا يختلفون في كفرهم - يعني أهل التخييل - لشناعة مقالاتهم، فأمرهم مُنْكَشِفٌ وَاضِحٌ، وإنما حصل اللبس في هؤلاء لأنهم يتظاهرون بنصر السنة والذب عن الشريعة ويدعون أنهم بذلك يصونون عقول

الناس عن الوقوع في ورطة التجسيم، فيلتبس أمرهم على الناس، لكن حقيقة الأمر كما قال في هذه العبارة المشهورة ((وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَا لِلْإِسْلَامِ نَصْرُوا، وَلَا لِلْفَلَّاسِفَةِ كَسْرُوا)). ثم بين كيف أن سلاحهم كان مفلولاً وجهدهم كان رديناً وأنهم لم يحصل لهم مرادهم، هم ادعوا أنهم يؤولون النصوص ويصرفونها عن ظواهرها حتى لا يُفسد الفلاسفة عقائد الناس فسيبين الآن كيف أنهم لم يوفقوا في هذا الأمر وأنهم لا لِلْإِسْلَامِ نَصْرُوا، وَلَا لِلْفَلَّاسِفَةِ كَسْرُوا.

قال: ((وَلَكِنَّ أَوْلَيْكَ الْفَلَّاسِفَةَ أَلْزَمُوهُمْ فِي نُصُوصِ الْمَعَادِ نَظِيرَ مَا ادَّعَوْهُ فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ. فَقَالُوا: نَحْنُ نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِمَعَادِ الْأَبْدَانِ، وَقَدْ عَلِمْنَا الشَّبَهَ الْمَانِعَةَ مِنْهُ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ لِهَؤُلَاءِ: وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِإثْبَاتِ الصِّفَاتِ، وَنُصُوصِ الصِّفَاتِ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْ نُصُوصِ الْمَعَادِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَعْلُومٌ أَنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا يُنْكِرُونَ الْمَعَادَ، وَقَدْ أَنْكَرُوهُ عَلَى الرَّسُولِ وَنَاطَرُوهُ عَلَيْهِ، بِخِلَافِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ شَيْئاً مِنْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ. فَعَلِمَ أَنَّ إِفْرَارَ الْعُقُولِ بِالصِّفَاتِ أَعْظَمَ مِنْ إِفْرَارِهَا بِالْمَعَادِ، وَأَنَّ إِنْكَارَ الْمَعَادِ أَعْظَمَ مِنْ إِنْكَارِ الصِّفَاتِ، وَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ لَيْسَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْمَعَادِ هُوَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ.

وَأَيْضًا: فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ دَمَّ أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَى مَا حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْرَةَ مَمْلُوءَةٌ مِنْ ذِكْرِ الصِّفَاتِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا حَرَّفَ وَبَدَّلَ لَكَانَ إِنْكَارُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْلَى، فَكَيْفَ وَكَانُوا إِذَا ذَكَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ الصِّفَاتِ يَضْحَكُ تَعَجُّبًا مِنْهُمْ وَتَصَدِيقًا وَلَمْ يَعْبَهُمْ قَطُّ بِمَا تَعَبُّبُ الثَّفَاةِ لِأَهْلِ الْإثْبَاتِ، مِثْلُ اللَّفْظِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، بَلْ عَابَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: { يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ } [المائدة: ٦٤]، وَقَوْلِهِمْ { إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } [آل عمران: ١٨١] وَقَوْلِهِمْ: اسْتِرَاحَ لِمَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَقَالَ تَعَالَى { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } [ق: ٣٨] (ق: ٣٨).

وَالتَّوْرَةُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُطَابِقَةِ لِلصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَلَيْسَ فِيهَا بِالْمَعَادِ كَمَا فِي الْقُرْآنِ. فَإِذَا جَازَ أَنْ نَتَأَوَّلَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْكُتَابَانِ فَتَأَيُّوْلُ الْمَعَادِ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ أَحَدُهُمَا أَوْلَى، وَالثَّانِي مِمَّا يَعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ بَاطِلٌ، فَالْأَوَّلُ أَوْلَى بِالْبُطْلَانِ.))

هذه الفئة الثانية أهل التأويل صاروا كالشاة العائرة بين القطيعين لأنهم فرقوا الصفة، صاروا تجاه نصوص المعاد يقولون هي حق على حقيقتها - وهذا حق، يعني أهل التأويل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم يقولون: إن ما أخبر الله تعالى به من السمعيات في نصوص المعاد من البعث والنشور والصحف والجنة والنار والصراف حق على حقيقته ويجب الإيمان به. فحينئذ صاروا في باب الإيمان بالمعاد يُجْرُونَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا. وهم في باب الإيمان بالله يُعْمَلُونَ التَّأْوِيلَ. فقال لهم أهل التحليل: مالكم مادتم قد وافقتمونا على تأويل نصوص الصفات فوافقونا على تأويل نصوص المعاد! يعني مسكوكهم كما يقال من موضع ضعف، قالوا: وأنتم قد وافقتمونا أن نصوص الصفات ليس على ظاهرها فوافقونا أن نصوص المعاد ليست على ظاهرها. فأبوا واشتأزوا وقالوا: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان وقد علمنا فساد الشبهة المانعة من ذلك. وصدقوا. فحينئذ انبرى لهم أهل السنة وقالوا: أنتم قد وافقتمونا في نصوص المعاد وأنها حق على حقيقتها والله أعلم بكيفيتها فكما وافقتمونا على

ذلك فوافقونا في نصوص الإيمان بالله والصفات وأنها حق على حقيقتها على الوجه اللائق به سبحانه، فإننا قد علمنا بالاضطرار أن رسل الله جاءت بإثبات الصفات وقد علمنا فساد الشبهة المانعة بذلك. فصاروا فعلا كالشاة العائرة بين القطيعين أو بين الفريقين هؤلاء يجذبونهم من جهة وهؤلاء يجذبونهم من جهة، ودوماً المذاهب الباطلة تتسم بالتناقض، فصاروا فعلاً متأرجحين بين هؤلاء وهؤلاء كل يدلي عليهم بحجة، ولا ريب. وقد استدلل الشيخ رحمه الله على أن نصوص الصفات حق على حقيقتها وأنها أولى بالإثبات من أن مشركي العرب لم يردوا على النبي ﷺ ما أخبر به من صفات رب العالمين ولم يمض ذلك على أسماعهم وإنما ردوا ذلك على نصوص المعاد قائلوا {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} (المؤمنون: ٨٢) فعلم بذلك أن العقول تتقبل إثبات الصفات أعظم من تقبلها لإثبات المعاد، وإلا لكانت نفرة العرب من إثبات نصوص الصفات أعظم من إثبات نصوص المعاد لكن الواقع عكس ذلك.

ثم دليل آخر - والشيخ رحمه الله موفق في حشد الأدلة - يقول: ها هي التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى ملأى بنصوص إثبات صفات رب العالمين. ونبينا ﷺ والقرآن العظيم قد أنكر على يهود تغييرهم وتحريفهم لشرائعهم ولم ينكر عليهم شيئاً مما ذكره في صفات الله، بل إن نبينا ﷺ كان يضحك لما يخبرونا به تعجباً وتصديقاً وهو بذلك يشير إلى الحديث الصحيح أن حبراً من يهود جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}، وفي رواية قال ابن مسعود فضحك رسول الله ﷺ تَعَجُّبًا وتصديقًا.

فقد كان النبي ﷺ يقرهم على ما في كتبهم من إثبات صفات الله ومع ذلك فإن نصيب إثبات المعاد في التوراة قليل جداً. فعلم بذلك أن هذا - أعني نصوص الصفات - مما تقبله عقول البشر وأهل الملل من سائر الطوائف وفي سائر الأماكن فكيف هؤلاء المتكلمين يشرقون بإثبات نصوص الصفات ويمررون نصوص المعاد؟ كان الواجب عليهم أن يقبلوا الجميع وأن يعاملوا النصوص معاملة واحدة لأنها صدرت من مصدر واحد فكيف يفرقون الصفة ويأولون شيئاً ويشبتون شيئاً {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} (البقرة ٨٥) فهذا الكلام من شيخ الإسلام يبين عوارهم وزيف طريقتهم.

بهذه المناسبة أود لفت الانتباه الإخوان وفقهم الله إلى ما يقع من بعض كتابات الكتاب وفقهم الله إذا ورد ذكر اليهود يقولون "اليهود أهل التجسيم"، ويجاريهم كثير من القراء لا ينتبهون لهذا المعنى. والحقيقة أن الذين يقولون أن اليهود أهل تجسيم أخذوا هذه المقالة عن المتكلمين؛ لأن المتكلمين ينكرون الصفات الخيرية لله ﷻ فيبتلع بعض الناس الطعم ويوافقهم كأنه بذلك يقر بأن الله تعالى لا يتصف بما وصف به نفسه من اليدين والعينين. الله تعالى ما أنكر على اليهود إثبات اليد إنما أنكر عليهم وصفهم إياه بأنها مغلولة، الله تعالى حكى مقالته {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَاعْنُوا بِمَا قَالُوا} (المائدة ٦٤) اقرأ ما بعدها {بَلْ يَدَاؤُهُ مَبْسُوطَتَانِ} فهو سبحانه لم يعيهم على إثبات اليدين وإنما عابهم على وصفه بالبخل تعالى الله عما يقولون. وهكذا في بقية الأشياء، فلننتبه حتى لا يبتلع الإنسان الطعم ويوافق هؤلاء الكتاب على أصل فاسد، فكثير مما في التوراة موافق لما في القرآن من إثبات صفات رب العالمين والمعول على ما جاء به كتابنا فكل ما جاء به كتابنا فإننا نشبهه لربنا سبحانه وبحمده.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

